



نحو مدخل تربوي  
لتجديد مناهج تدريس  
علوم الشريعة في الجامعة

دراسات  
وأبحاث

د. يونس محسين<sup>1</sup>

مقدمة:

لا يشك ناصح لأمته أن إصلاح التعليم مدخل سائر الإصلاحات النافعة التي تنهض بالأمة وترسي لها سبيل الرشاد، فالتعليم مدخل للاجتهاد، وبه تتجدد الأمة وتعيش زمانها وتنفض الحياة في علومها ومعارفها. ومناهج التعليم مصنّع لتكوين قادتها، ومفكرها من المجتهدين والعلماء لتكون في عداد الأمم الحية المؤثرة في أرض الاستخلاف.

وحيث إن اختيار النموذج التربوي المؤطر لمكونات العملية التعليمية من أهم مداخل تجديد مناهج تدريس علوم الشريعة في الجامعة، فلا مندوحة من طرق هذا الإشكال المخرج والمقلق، لأن المدخل التربوي البيداغوجي من أهم العوامل الحاسمة في جودة مخرجات المنهاج وكفاءتها العلمية والمنهجية. وجوهر التجديد يكمن في تكاثف الجهود البحثية الرامية لبناء مدخل تربوي أصيل- بديل، ينهض بمسالك التكوين الجامعي لعلوم الشريعة، نموذجٌ ينطلق من بنية هذه العلوم ويستلهم مقوماته من روح التراث، ويعمق النظر في مضامينه التربوية، لاستمداد مبادئ فقه التربية والتعليم، واتخاذها معيارا لغربلة النظريات التربوية الحديثة، مع ضرورة الإفادة من حسناتها في التأسيس للمدخل المرتجى الناظم لاستراتيجية التكوين الجامعي، والمتناغم مع طبيعة المحتوى المعرفي (العلوم الإسلامية)، من باب حفظ هويتنا وحضارتنا وتراثنا، والإفادة من التجارب الإنسانية في مجال التربية والتعليم.

<sup>1</sup> \* دكتوراه في الفكر الإسلامي ومناهج التربية والتعليم ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب

والقول بضرورة تجديد الممارسة التربوية بمقتضى مدخل تربوي أصيل، يفرض الوعي بالمسوغات العلمية والواقعية والتربوية الموجبة لاعتماد هذا المدخل (أولاً)، والبحث في أسس البناء ومبادئ الترسيم (ثانياً). وهو ما سنتناوله بالدرس والتحليل في هذه الورقة البحثية.

### إشكالية البحث:

إن الناظر في واقع التعليم الشرعي الجامعي يدرك قصور هذه المناهج عن أداء وظيفتها الماثلة في جودة الفعل التعليمي في ذاته ومخرجاته، ولعل ذلك راجع لأسباب عديدة أبرزها غياب هدي منهجي يؤطر مسالك التعليم الجامعي في واجهاتها البيداغوجية والديداكتيكية. واستجابة لمطلب الضبط البيداغوجي لمسالك التعليم الشرعي الجامعي، تظهر الحاجة الى بحث: إمكانية التأسيس النظري والتنزيل العملي لمدخل تربوي أصيل- بديل يحفظ روح التفقه في الدين، ويستمد مبادئه من فقه التربية، ويراعي طبيعة التعليم الجامعي الأكاديمي المعاصر وما يقتضيه من أسس معيارية وشكلية يتعين مراعاتها في بناء المناهج وتقويمها وتطويرها؟

### التساؤلات الفرعية:

ويتفرع عن هذا الإشكال التساؤلات الفرعية التالية:

- ما المسوغات العلمية والتربوية والاجتماعية المؤكدة لضرورة تجديد البراديغم التربوي لمناهج التعليم الشرعي الجامعي؟
- ما الأسس الاستمولوجية والنفسية والاجتماعية والتربوية الضابطة لتأسيس مدخل تربوي أصيل بديل، وما مبادئ تنزيله؟
- ما أثر تجديد المدخل التربوي في تجديد مناهج تدريس علوم الشريعة في ذاتها ومخرجاتها؟

### فرضيات البحث

انطلقت الدراسة من الفرضيات الآتية:

- قصور مناهج التعليم الشرعي عن أداء وظيفتها العلمية والتعليمية راجع بالأساس إلى غياب هدي منهجي يضبط صيغ تصريف مضامين الدرس الشرعي بالتعليم العالي.
- تجديد البراديغم التربوي بمسالك التعليم الشرعي مشروط بالاستناد الى أسس علمية وتربوية واجتماعية ونفسية تضبط البناء وتؤسس لمقتضيات التنزيل.

## أهداف البحث

- بيان مسوغات تجديد البراديغم التربوي بمسالك التعليم الشرعي
- اقتراح أسس علمية ونفسية وتربوية واجتماعية لبناء مدخل تربوي لتدريس علوم الشريعة بالجامعة
- إبراز أثر تجديد المدخل التربوي في جودة مناهج التعليم الشرعي الجامعي في ذاتها ومخرجاتها.

## أولاً: مسوغات تجديد المدخل التربوي لتدريس علوم الشريعة

إن اعتماد مدخل تربوي أصيل-بديل مؤطر لاستراتيجية التدريس الشرعي الجامعي يمليه قصور المناهج القائمة عن تخريج الكفاءات العلمية، والحاجة إلى تأصيل وتجديد واقع الممارسة البيداغوجية، وعجز البيداغوجيا الحديثة عن الاستجابة لمقتضيات الدرس الشرعي الجامعي.

## 1. قصور المناهج عن تخريج الكفاءات العلمية

التعليم الجامعي منوط به إعداد الكفاءات العلمية ذات التكوين المتين، المؤهلة لصواب الاستعداد من نصوص الوحي والمسهمة في تقديم البدائل الإسلامية وفق نظرة مقاصدية مستوعبة لمقتضيات الزمان والمكان.

فإذا كانت هذه رسالة مناهج الدراسات الإسلامية الجامعية، فإن الملاحظ هو عجزها عن تخريج طلاب يمتلكون ملكات العلوم المُدرّسة من فقه وحديث وأصول ... «ذلك أنه من المؤلم والمحزن حقاً أن الدراسات الفقهية والشرعية بشكل عام تعاني، لأنها تخرج حفظة وحملة فقه في الأعم الغالب، ولا تخرج فقهاء... تخرج نقلة يمارسون عملية الشحن والتفريغ والتلقين، ولا تخرج مفكرين ومجتهدين يربون العقل وينمون التفكير»<sup>2</sup>.

ويرى عبد الدكتور الكريم بكار أن الموضوعية تقتضي الاعتراف بأن «أعظم مدارسنا، وجامعاتنا ومؤسساتنا العلمية والتربوية المختلفة- لم تفلح في أن تجعل من نفسها بيئات لتكوين الشخصية العلمية، كما أنها لم تفلح في إيقاظ شعلة الشوق إلى المعرفة في صدور طلابها، فالطابع العام طابع تلقيني، والدراسة للشهادة، والشهادة للوظيفة، والوظيفة للتمتع بالحياة. ونستطيع أن نقول: «إننا فقدنا إخلاص السلف ودأبهم»<sup>3</sup>.

<sup>2</sup>- حسنة، عمر عبيد. مقدمة كتاب: "تكوين الملكة الفقهية" للدكتور محمد عثمان شبير، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، ط1، 1999م.

<sup>3</sup>- بكار، عبد الكريم. "حول التربية والتعليم"، سلسلة المسلمون بين التحدي والمواجهة، دار القلم، دمشق، سوريا، الطبعة 3، 1432هـ-2011، ص97.

لهذه الأسباب تعالت في العقود الأخيرة نداءات من أجل إصلاح التعليم الجامعي عموماً، وإصلاح المؤسسات الشرعية بشكل خاص، والعمل على تخريج عالم شرعي يكون نموذجاً للعالم الملتزم الواعي بمستجدات العصر، المحيط بقضاياها الحديثة<sup>4</sup>.

والقول بضعف مخرجات مناهج التعليم الشرعي لا يعني انعدام الكفاءات الشرعية من الطلبة والباحثين، غير أن وجودها - في الغالب الأعم - لا يكون ثمرة مباشرة لمسالك التعليم الشرعي، بل بتوافر عوامل ذاتية أو مسالك تعليمية موازية، وارتباطاً بذلك يؤكد الدكتور جميل مبارك<sup>5</sup> أنه من الإنصاف أن نقر بوجود كفاءات فقهية في مجتمعنا معلقاً على ذلك بملاحظتين:

أولاهما: قلة هذه الكفاءات، وعجزها تبعاً لذلك عن الاستجابة لكل التساؤلات المجتمعية. وأخراهما: أن مصدر كفاءتها ليس هو مؤسسات التعليم العالي وحدها بل هناك مجهودات موازية عضدت ما تلقته من تلك المؤسسات

فالمسوغ المُلح لتجديد المدخل التربوي ضعف مخرجات الدراسات الإسلامية بضعف التحصيل في زمن التنافس على الجودة بما تعنيه من معاني الإحسان والاتقان في الفعل التربوي ضماناً لجودة مخرجات المنهاج.

## 2. عجز البيداغوجيا الحديثة عن الاستجابة لمقتضيات الدرس الشرعي

تأصيل المدخل التربوي لتدريس علوم الشريعة يفرضه عجز النظريات والبيداغوجيا الحديثة عن الوفاء بمتطلبات الدرس الشرعي الجامعي، والالتزام بمقتضياته. فالنظريات الغربية مؤسسة على مبادئ مادية لا يمكن أن تحفظ بحال قدسية النص الشرعي؛ فلا تتسع أدبياتها لاعتبار حفظ النصوص وتلاوتها عبادة، وأن طلب العلم مرتبط بالنية، وأن ثمرة العلم الصالح هي العمل الصالح الموافق لقصد الشارع، وغيرها من الأصول التربوية.

وقد عرفت المنظومة التربوية العربية اختيارات بيداغوجية مأخوذة بحذافيرها عن الأنماط التربوية المتداولة في الدول الأوروبية (سواء المدارس الفرانكفونية أو الأنغلوسكسونية) مثل مدخل التدريس بالأهداف، ومدخل التدريس بالكفايات، ومدخل الإدماج. وقد عرفت هذه الاختيارات (والحقيقة أنها اختيارات عند واضعها فحسب) طريقها إلى الجامعات العربية بما في ذلك شعب الدراسات الإسلامية

4- ينظر: الكلام، يوسف. "مشروع التكامل المعرفي بين علوم الشريعة والعلوم الإنسانية: دراسة تحليلية تقويمية لتجربة مؤسسة دار الحديث الحسنية" بحث ضمن مجموعة أعمال، منشورة في كتاب: "التكامل المعرفي أثره في التعليم الجامعي وضرورته الحضارية"، تحرير الدكتور راند جميل عكاشة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1433هـ/2012م، ص376

5- ينظر: "مظاهر الخلل في منهج تدريس الفقه عرض ونقد واقتراح"، مجلة الواضحة، دار الحديث الحسنية، العدد5، 2009م، ص234.

وكليات الشريعة. ولنا أن نتساءل: هل تنهض هذه الأنماط البيداغوجية بمقاصد الدراسة الشرعية عموماً والفقهية بصفة خاصة؟ هل تراعي خصوصيات المواد الشرعية ومنطقها الداخلي؟<sup>6</sup>

إن آفة التقليد للمناهج والنظريات التربوية الغربية من أبرز أسباب ضمور روح الإبداع والاجتهاد؛ وقد يُستدرك على ذلك بتفوق مناهج التعليم الغربية في الاستجابة لحاجات مجتمعاتها وإحداث التطور العلمي والتعليمي المنشود. وتفسير ذلك أن سنة الله لا تحابي أحداً، فالمجتمعات الغربية جعلت من التعليم أولى أولوياتها، فرصدت لذلك إمكانات هائلة للبحث التربوي، وأبدعت في بناء نظريات متناغمة مع هويتها وثقافتها، فكان الانسجام بين فلسفة التربية ومخرجات المناهج الدراسية.

وهكذا، «فالتعليم في البلاد الغربية نجح لوضوح مرجعيته ومناهجه واستراتيجياته وأهدافه. أما التدريس في كثير من البلاد العربية فيعاني من ضبابية المرجعية»<sup>7</sup>. ومرجعيتنا في هدي الوحي وفقه التربية، وما راكمته التجربة التربوية المبكرة من أصول تحتاج لمن ينفذ الغبار عنها تحقيقاً ودرسا ونقداً وتقويماً.

وتأسيساً على ذلك، فإنه «لا يسوغ أن نستورد القوالب الغربية والشرقية كما هي ونلبسها على العلوم الشرعية. وهذا يفرض على المشتغلين بتطوير التعليم الشرعي بذل جهد في تمحيص التجارب الأخرى وتقويم مدى ملاءمتها لتدريس العلوم الشرعية، وتطوير تلك التجارب بما يجعلها أكثر ملاءمة لخصوصيات العلوم الشرعية»<sup>8</sup>.

فالحاجة ماسة إلى الوعي بقوتنا الذاتية التي توفرها أصول المعرفة الإسلامية، وما راكمته المدرسة الإسلامية عبر التاريخ لتأسيس نموذج تربوي يحفظ هذه الأصول ويغنيها بما جاد به الاجتهاد البشري في مختلف العلوم والفنون المعرفية والتربوية، استجابة لمقتضيات الزمان والمكان.

### 3. الحاجة إلى تأصيل وتجديد المنهج

قد يكون مدعاة للغموض والالتباس الجمع بين "التأصيل" و"التجديد"، والتوليف بينهما في بناء وترسيم المداخل التربوية المؤطرة لمسالك التعليم الشرعي الجامعي. بيد أن هذا الالتباس سرعان ما ينجلي إذا ظهر أن التجديد المقصود لا يعني التنكر للتراث التربوي والارتواء في أحضان المقاربات التربوية الحديثة. أو الانغلاق في دائرة التراث ورفض كل إنتاج تربوي بشري معاصر.

<sup>6</sup> - صادق، مصطفى. "منهج تدريس الفقه"، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا (الولايات المتحدة، الطبعة 1، 1433 هـ-2012 م، ص 17

<sup>7</sup> - ينظر: بازي، محمد. "صناعة التدريس ورهانات التكوين"، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة 1، 2010 م، ص 22

<sup>8</sup> - درويش، محمد بن عبد الله. "تطوير التعليم حاجة أم ضرورة"، كتاب الأمة، (عدد 105)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، طبعة 1، 2013 م، ص 102

فالمطلوب هو التجديد الذي ينطلق من فقه التربية الإسلامية لنستمد منه البدائل التربوية التي تحفظ روح العلم ومسالك التفقه، وتربط حياة الفرد بآخرته، والسعي في نفس الآن لإغنائه بالنماذج والمقاربات والنظريات الدراسات التربوية الحديثة، وفقاً للمبدأ القائم على التماس الحكمة بصرف النظر عن منشأها ومصدرها.

فمطلب التأصيل يجد مسوغه في أن «إحياء المنهج القديم مطلب مهم لتوضيح معالم النظر به في هذا الشأن، وبيان السبل المفضية فيه إلى درك الصواب، تجلية ما صح وما ضعف من هذه الآراء والأفكار، لذلك وجب السعي إلى إحيائه وبيان معالمه، وذكره بخصائصه وصفاته»<sup>(9)</sup>.

والتوليف بين التأصيل والتجديد يمليه ضرورة قراءة التراث الأصيل في سياق الواقع المتجدد، «فإننا إن لم نقرأ تراثنا التربوي والتعليمي في سياق حضاري تفاعلي متجدد مع التجارب الأخرى، وما لم نطور مناهجنا التعليمية بشكل يضمن تجديد العدة التربوية لتدريس علوم الشريعة تستنطق تراثنا التربوي الزاخر، وتستثمر أحدث نظريات التعلم المعاصرة، مع الحفاظ على خصوصيات وآداب وقيم مجالس العلم، فإنه لا يمكننا بحال أن نتحدث عن نظرية تربوية في تدريس علوم الشريعة»<sup>10</sup>. وبذلك يكون التراث التربوي حافزاً لا حاجزاً في علاقته بالإفادة من الموارد التربوية لواقعنا المعاصر.

### ثانياً: أسس ومرتكزات البناء والترسيم

الأسُّ والْأَسْسُ والأساس: كُلُّ مَبْتَدَأٍ شَيْءٍ. وَالْأَسُّ وَالْأَسَاسُ: أَصْلُ الْبِنَاءِ...<sup>11</sup> والأساس ما يُبْنَى عليه غيره. فيكون المقصود بأسس البناء والترسيم مجموع المقومات أو المرتكزات المعرفية البيداغوجية والنفسية والاجتماعية التي يتعين مراعاتها في اختيار المداخل التربوية وتصميم المناهج وترسيمها. وتؤكد الأبحاث التربوية ضرورة الاستناد إلى هذه الأسس في بناء المناهج وتقويمها وتجديدها، وغالباً ما يكتب النجاح أو الفشل للمنهج بمقدار مراعاته لها.<sup>12</sup>

### 1- الأساس المعرفي الإستمولوجي

وهو الأساس المتصل بالمعرفة من حيث طبيعتها، ومصادرها ومناهجها ومفاهيمها، وسيرورة تطورها وعلاقتها بحقول المعرفة الأخرى، وتطبيقات التعلم والتعليم فيها. ولعل من أهم أولويات

9- السري، مولود. "القانون في تفسير النصوص: بيان مناهج وقواعد وضوابط تفسير وشرح النصوص الدينية في الإسلام"، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة 1، 2006، ص 06.

10- الصمدي، خالد. علوم الشريعة بالجامعات من المادة العلمية إلى المادة التعليمية مادة الفقه الإسلامي أنموذجاً، مجلة الواضحة، دار الحديث الحسنية، العدد 5، 2009م، ص 290.

11- ابن منظور، محمد بن مكرم. "لسان العرب" دار صادر، بيروت (لبنان)، ط 3، 1414هـ، ج 6، ص 6/6.

12- سعادة جودة أحمد، وإبراهيم، عبد الله محمد. "المنهج المدرسي المعاصر"، عمان، الأردن، الطبعة 4، 2044م، ص 96.

تصميم المناهج الجامعية لتدريس علوم الشرعية، تدقيق خارطة هذه العلوم ورصد مظاهر التفاعل بينها وبين منهج التحصيل، مع تحديد المجالات المعرفية التي لها قيمة تربوية وتعليمية، والتي من شأنها الاسهام في تحقيق مقاصد التعلم.

فالمبدأ أن طبيعة العلم وخصائصه ووظائفه أساس بناء منهج التدريس وتجديده. ف «لكل علم منطق البيداغوجي الداخلي الذي أدى إلى نموه، وهذا المنطق يتمكن منه ضمناً كل طالب علم ويعتمده - ضمناً أيضاً- حينما ينتصب لتعليم غيره، صغيراً كان أو كبيراً»<sup>13</sup>.

فمناهج تدريس علم من العلوم ينطلق أساساً من استصحاب طبيعة العلم وخصائصه ووظائفه أساس بناء منهج التدريس وتجديده. إذ أن فقه العلوم هو الكفيل بترسيم منهج التحصيل وترشيده. وتأسيساً على ذلك، تكون المقاربة التربوية (البيداغوجية) الصرفة غير مسعفة للباحث في دراسة وبحث مناهج التعليم الشرعي، ما لم يحترم حلقة الوصل بين خصائص العلم الشرعي ومنهج تدريسه.

فأمة "اقرأ" اتخذت من العلم أساساً لها في الفكر والمنهج والتحصيل، عقيدة وشريعة، سلوكاً وعملاً، «فعلى العلم والمعرفة يتوقف تجديد ما يلي، والانتفاع بما بقي، وتقويم المسيرة، والاهتداء إلى سواء السبيل»<sup>(14)</sup>. وبناء المناهج من أهم ما يتعين فيه استصحاب النظر في العلوم واتخاذها أساساً للبناء والتجديد.

والناظر في حال مناهج تدريس علوم الشريعة وتاريخها، يدرك -لا محالة- أن أبرز عوامل الانكسار التي لحقتها ماثلة في انحلال حلقة الوصل بين بيئة المعرفة الشرعية ومنهج تدريسيها، الزهول عن خصائص علوم الشريعة ومقاصد نشأتها، وعن المناهج المؤسسة لها، وغفلتها عن مصادر المعرفة الشرعية وأدوات اكتسابها وتحصيلها والنبوغ فيها.

وتأكيد على هذا المبدأ، أورد الشيخ ابن عاشور مقتطفاً من تعقيب مشايخ جامع الزيتونة، على مذكرة الإصلاح الوزارية المتعلقة بالجامع جاء فيه: «من المسلم عند ذوي العقول أن التحسين محمود وأن الحسن قابل للتحسين، ولكن لا بد لكل تحسين من ابتناؤه على ملاحظة أصول ما يتعلق به التحسين كيلا يعود على موضوعه بالنقض (....). وعلى هذا فإن المعروضات المذكورة حسنة في ذاتها، ولكن بقي النظر: هل يوافق الأصل الذي بني عليه تعليم العلوم الشرعية أو لا؟»<sup>15</sup>.

13- مصباح، رمضان: "نحو تأسيس ديداكتيك مادة التربية الإسلامية"، مجلة التبصرة عدد مزدوج 6/5 2011 ص 79

14 - العلواني، طه جابر: "تقديم: مؤتمر علوم الشريعة في الجامعات"، مرجع سابق ج. 1، ص 9.

15 - ابن عاشور، محمد الطاهر: "أليس الصبح بقريب"، دار السلام (مصر)، ودار سحنون (تونس)، الطبعة 3، 1431 هـ - 2010 م، ص 130

فمقتطف التعقيب صريح في تثمين فكرة إصلاح وتحسين منهج التدريس بالجامع، وفي استدراكهم دلالة على ضرورة ربط أي تحسين للمنهج بخصائص العلم الشرعي، حتى لا يعود على أصله بالنقض، وهو استدراك يؤكد ضرورة الانطلاق من درس بنية علوم الشريعة واستصحاب خصائصها المعرفية والمنهجية في سياق بناء المداخل التربوية والمنهجية لتدريس هذه العلوم.

وعليه يكون بناء المناهج ينطلق ابتداء من تفكير عميق في بنية المعرفة المقصودة بالتدريس والمدارس، تفكيرٌ يرسى معالم لاختيار مضامين المنهاج وعناصره. فبناء منهج تربوي لتصريف المعرفة في مسالك التلقي ينطلق ابتداء من محصلة النظر الإبستمولوجي في علم الفقه.

ف «المنهج قبل ذلك هو تفكير إبستمولوجي في المادة العلمية من ناحية أهداف الفقه ومضامينه ومنهجه ووظائفه. وبعد الحسم النظري في هذه القضايا، يتدخل الفعل التربوي/ البيداغوجي الذي يحدد الاختيارات النظرية ويبني على أساسها صيغا عملية قابلة للتمرير في حصص الدروس. غياب تلكم التراتبية المشار إليها ينعكس سلباً على منهج التدريس»<sup>16</sup>

فلا مندوحة إذن، في بناء المداخل التربوية لتدريس علوم الشريعة من مقارنة قضايا نظرية (أبستمولوجيا) مرتبطة بخصائص هذه العلوم، من حيث النشأة والتطور، ومناهج التأسيس والتأليف، وطبيعة الوشائج الرابطة بينهما، ومبادئ تصنيفها ضمن التحيزات العلمية والمعرفية في دنيا المعرفة... وبعد حسم هذه القضايا النظرية يتم الانطلاق من مسلماتها ومحصلات تحليلها لتشكيل أساسا معرفيا / إبستمولوجيا تكون له الكلمة الأولى في اختيار النموذج التربوي/ البيداغوجي المناسب، وبعد هذه كله يمكن الحديث عن التدبير الديدكتيكي لمحتويات المنهاج والبحث في الصيغ العملية والتربوية لتصريف مضامينه مع مراعاة مبدأ النقل الديدكتيكي، وخصائص الفئة المستهدفة.

## 2- الأساس السيكلوجي

والمقصود به مجموع المبادئ المتصلة بالخصائص النفسية للفئة المستهدفة من حيث القدرات العقلية والإدراكية وما يستلزم ذلك من مراعاة الفروق الفردية بين أفرادها، ففي ضوء هذه المبادئ يتم اختيار المداخل التربوية والطرائق التعليمية المستجيبة لحاجات المتعلمين المتناسبة مع أعمارهم واستعداداتهم النفسية والعقلية.

16- صادقي، مصطفى. "منهاج تدريس الفقه"، مرجع سابق، ص 13-14.



والحديث عن هذا الأساس ينصرف بالأساس الى سيكولوجيا الطالب الجامعي، وما يتطلبه ذلك من مراعاة خصائصه وقدراته في بناء المناهج وتصريف مضامينها المعرفية والمنهجية. من شأن ذلك أن يوجه بوصلة الفعل التعليمي ويحقق مقاصده.

«فالطريقة الناجحة هي التي تقوم على أساس معرفة طبيعة الطلاب، وتستند إلى حاجاتهم ودوافعهم، فيتم إيقاظ الحاجة والدافع أولاً، وذلك بوضع الطلاب في موقف مؤلّد لهذه الحاجة أو الدافع، ثم الاعتماد على النشاط الذاتي لكل طالب، فيلاحظ ويبحث ويربط الحقائق، ويعبر عنها بنفسه»<sup>17</sup>

ولعل من أهم دلالات هذا الأساس تنصرف الى مراعاة الفروق الفردية بين طلاب العلم الشرعي فالطلاب ليسوا على وزن واحد من حيث قدراته العقلية والنفسية والجسمية، وبذلك يختلف إدراكهم للمعرفة المدرّسة، إذ «فهم الذكي المتوقّد، وفهم المتوسط الذي ينزل عن رتبة الأولين، وفهم العاجز الفاتر الذي يحتاج إلى عناية خاصة وتعهد دائم. وفي كل صنف من هذه الأصناف مراتب حسب المحيط الاقتصادي والاجتماعي والمؤهلات العقلية والذهنية»<sup>18</sup>

والواجب قوله إن مراعاة الفروق الفردية تعترضه عقبات واقعية أظهرها ظاهرة الاكتظاظ التي تعرفها مختلف التخصصات -بما في ذلك التخصصات الشرعية- في الجامعات ذات الاستقطاب المفتوح. والمسلك الأسلم لتجاوز هذه العقبات هو اعتماد مبدأ "تفريد التعلم" القائم على أساس اعتماد ايقاعات تعليمية مختلفة بحسب قدرات كل متعلم.

وهو مبدأ أصيل في تراثنا التربوي، قال الإمام النووي رحمه الله تعالى موجهاً للمعلم «ويُفهم كل واحد بحسب فهمه وحفظه، فلا يعطيه ما لا يحتمله ولا يقصر به عما يحتمله بلا مشقة، ويخاطب كل واحد على قدر درجته وبحسب فهمه وهمته»<sup>(19)</sup>.

ومن الانصاف القول بأنه يصعب من الناحية الواقعية تخصيص كل طالب بإيقاع تعليمي خاص، لأن الأمر سيفضي إلى تعدد المناهج بعدد الطلبة. ويمكن تطبيق هذا المبدأ بشكل واقعي بأن تقدم الأسس المشتركة للمادة التعليمية بشكل جماعي، على أن يتم التوسع في مضامينها بتكوين مجموعات متجانسة من حيث المستوى والقدرات العقلية.<sup>20</sup>

<sup>17</sup> - طويلة، عبد الوهاب عبد السلام: التربية الإسلامية وفن التدريس"، دار السلام، الطبعة 1-1418 هـ-1997م ص 45

<sup>18</sup> - حليم، سعيد. "علاقة المتعلم بالأستاذ في ظل المستجدات التربوية"، سلسلة المنظومة التربوية في المغرب، أنفو برانت، فاس 2006

<sup>19</sup> - النووي، محي الدين بن شرف. -"المجموع شرح المذهب للشيرازي"، تحقيق: المطيعي، محمد نجيب، مكتبة الإرشاد، جدة، السعودية، (غفل عن رقم الطبعة وتاريخها)، ج 1، ص 3.

<sup>20</sup> - أوزي، احمد. "المعجم الموسوعي لعلوم التربية، مطبعة النجاح الجديدة(المغرب) 1427 هـ- 2006 م، ص 96

وقد يعترض على تقرير ضرورة العناية بسلوكيات الطالب الجامعي في بناء المداخل التربوية الجامعية باعتبار أن الطالب الجامعي حاصل على قدر وافر من النضج النفسي والعقلي والاجتماعي، وجواب ذلك أن مراعاة خصائص الفئة المستهدفة مبدأ مطرد في مختلف مستويات التحصيل «فالتأهيل الجامعي يحتاج إلى توجيه يصاحبه في كل مستويات التدرج لأنه شرط أمن وأمان وشرط صحة وصواب وسلامة وسبيل نجاة»<sup>21</sup>

### 3- الأساس القيمي

تجديد المدخل التربوي لمناهج التدريس الشرعي الجامعي مرتين بتحسينها بمنظومة القيم الإسلامية، جعلها ذروة الأهداف، ومقصد دراسة ومدارسه المضامين المعرفية، وبؤرة اهتمام الأنشطة التربوية والتعليمية فمن شأن ذلك تخرج كفاءات علمية يجتمع فيه العلم الصالح بالعمل الصالح، ترى ذلك في استقامتها تربية وسلوكاً ومنهجاً، وزحفاً نحو المعالي في ركب الحضارة بين الأمم.

إن سر تميز مناهج الأسلاف أنهم «اهتموا بتزويد المتعلمين بمنظومة قيمية متميزة، تشكل شخصيتهم الأخلاقية والسلوكية، المرتبطة بالقيم الإسلامية النابعة من العقيدة الإسلامية بشكل رئيس»<sup>22</sup>. فكان العلم مقرون الصلة بالآداب والأخلاق. فأثمرت مناهجهم نماذج حية بعلمها وخلقها شهد لهم المؤيد المخالف بالضبط العلمي والسبك المنهجي والقيم النبيلة، فبارك الله في علمهم وجهدهم لأنهم اهتموا بهدي الوحي فنالوا الثمرة.

وحين أقبل الناس على الدنيا وساءت أخلاقهم ورق دينهم، طمس الله بصائرهم وضعفت أنظارهم. وتنبيهها على ذلك قرن الله التعلم بالتقوى والاستقامة- وهي رأس القيم \_ في قوله تعالى: "(وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (البقرة، الآية: 282) قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «قوله (واتقوا الله) أي خافوه وراقبوه، واتبعوا أمره، وتركوا زجره (ويعلمكم الله)»<sup>23</sup>

إن فصل الدرس الشرعي عن منظومة القيم ينقلب معه التعلم إلى تحصيل جاف لا يغير خلقاً، ولا يصحح سلوكاً، ولينتقل بصاحبه من الغفلة إلى اليقظة، ومن التيه والإطراب إلى الاستقرار والاطمئنان. إن عصرنا هذا هو عصر القلق النفسي، والتحلل الخلقي، والجفاء الاجتماعي، وهو عصر ذلت فيه الرقاب

21- مدني، عباس. "النوعية التربوية في المراحل التعليمية في البلاد الإسلامية: دراسة إستمولوجية للمعرفة التربوية"، مكتبة التربية العربي لدول الخليج، الرياض، السعودية، 1989م.

ص222

22- الزبيدي، أحمد طه. "تدريس الحديث النبوي وعلومه: الأصالة والمعاصرة" دار الفنائس ودار الفجر، الطبعة 1، 1434هـ-2013م. (ص130).

23- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. "تفسير القرآن العظيم"، دار الفكر، 1422هـ-2002م. ج 1 ص446

للمطامع والحاجات المادية، فأضحى العلم الشرعي يطلب لغير مقصده الأصلي، فضاعت البوصلة الموجهة للعلم وأهله.

إن رسالة الجامعة أن تعرف الطالب بالله وأن تسعى في برامجها ومقرراتها إلى ترسيخ القيم وجعلها متكاً لكل الاختيارات التربوية والبيداغوجية والديداكتيكية؛ وأن تربي الأجيال على الإخلاص الصدق والاحسان والشورى والعدل والحرية، وحفظ الحقوق والتعاون وسعة الفهم والمثابرة والاجتهاد ... ومهمة الرسالة التعليمية والتربوية أن تؤكد هذه القيم، وتفضح الممارسات التي تناقضها.

ف «ليس أصدق من حاجة الأمة الى بناء مناهج التعليم في إطار التربية الإسلامية، وذلك أن التعليم هو تزويد الفرد بمجموعة من المعارف والخبرات والمهارات، وما لم تكن هذه العلوم حية ومتحركة في إطار تربوي اخلاقي ديني عقلي سليم فإنها تفقد وجهتها ولا تكون عاملاً من عوامل البناء والتقدم في الطريق الصحيح»<sup>24</sup>

ويرى الدكتور طه جابر العلواني أن من أهم مقتضيات تجديد التعليم الشرعي يكمن في ربط العلوم ومناهج تعليمها بمنظومة القيم القرآنية<sup>25</sup>، «بحيث تتحول القيم الحاكمة الى ضوابط ومعايير تحدد وجهة العلم وغايته، وتحكم سلوك العاملين في حقوله المختلفة..»<sup>26</sup>

#### 4- الأساس الاجتماعي

لا يُكتب النجاح لأي مدخل تربوي ما لم ينطلق من حاجات المجتمع وآماله في اختيار الأهداف وتصميم المقررات وانتقاء الطرق والأساليب التعليمية المتناغمة مع هذا المقصد، لأجل ذلك تؤكد الدراسات التربوية ضرورة اعتبار حاجات المجتمع أساساً من أسس بناء المناهج، فلكل مجتمع نظام تعليمي خاص يعكس بالأصالة فلسفة النظام الاجتماعي وقيمه ومبادئه...

وهو توجه يحتم احترام مبدأ الوصل بين النظام التعليمي لأي مجتمع مع حاجاته ومتطلباته، وذلك باشتراط الدراية والفهم العميق لقيم المجتمع وأهدافه وفلسفته في القيمين على بناء المناهج وتقويمها وتجديدها ... أملاً في أن تكون المناهج التعليمية ترجمة صادقة لطموحات المجتمع ووسيلة فاعلة لتحقيقها<sup>27</sup>

24- الجندي، أنور. "العودة إلى الهوية الإسلامية"، دار الهداية، بيروت، لبنان، الطبعة 1، 1420-1999م، ص 89

25- ويعبر عنها بالقيم القرآنية الحاكمة وهي التوحيد والتزكية والعمران"، ينظر: العلواني، طه جابر. "التعليم الدين بين التجديد والتجديد"، دار السلام، الطبعة 1، 1430هـ-2009م، ص 64

26- ص 83

27- ينظر: بدوي، رمضان مسعود. "المنهج وطرق التدريس"، دار الفكر ناشرون وموزعون، الطبعة 1، 2011م-1432 هـ، ص 87

وإذا كان ما سبق يعبر عن مبدأ عام يؤثر فلسفة بناء المناهج، فالأحرى أن تكون له الخطوة في بناء وترسيم المداخل التربوية لتدريس علوم الشريعة، لأن «فهم الدين، لا يمكن أن يتم بصفة تجريدية مفصولة عن خضم الواقع الحياتي، بل يتم من خلال حوار متفاعل بين عناصر ثلاثة: النص الديني، العقل المدرك، ونوازل الواقع وأحداثه»<sup>28</sup>

ومفتاح ذلك إنما يكون إحكام «التناسق والترابط بين عناصر المنهج، بما تقدمه من محاور معرفية وأنشطة تعليمية وأساليب منظمة ومخططة، تسعى إلى تنمية شخصية الفرد المتعلم على نحو يمكنه من الاضطلاع بأدواره المتعددة بالمجتمع مستقبلاً»<sup>29</sup>

فتوثيق الصلة بين المنهج وحاجات الأمة مشروط بإحداث نقلة نوعية وكمية لموضوعات المحتوى، بإعادة ترتيب الوحدات التعليمية وتنظيمها بحيث ترتبط بحاجات ومشكلات الفرد والمجتمع التي تفرض نفسها في هذا العالم المتغير. وذلك تجديد الأمثلة في المباحث الفقهية والأصولية، وتوثيق الارتباط بالقضايا الراهنة والنهل من المعارف المستجدة، وتجاوز الكثير من القضايا التاريخية المرتبطة بظروف وأحوال لم يعد لها أثر في واقعنا المعاصر.

إن تحقيق الوصل بين المباحث العلمية المدروسة وواقع الاستخلاف يرفع همّة الطالب واهتمامه بتعلّمها والنهل من أسرارها، ف" كلما شعر المتعلم بما يوفره له علم الشريعة من فهم وإدراك لحقيقة ذاته والعالم من حوله، وزوّده بمعارف وحقائق تعالج مشكلاته، وتجب عن تساؤلاته، وتلبي حاجاته كلما ازداد شغفه به، وإقباله على تعلمه، والعمل بهديه وأحكامه "30

وبالمقابل، فإن انفصام المعارف التي يتلقها الطالب عن واقعه وحاجات الزمان وأهله، يضرب حقيقة التعلم في مقتل، لعدم توافق مضامين المنهج مع مقتضيات العصر، وعجزها عن تأهيل طلاب العلم الشرعي للاندماج في الحياة العلمية والمهنية والاجتماعية، وهو ما لا يتماشى مع رسالة الإسلام الضابطة لمبدأ الاستخلاف.

<sup>28</sup> - النجار ، عبد المجيد . " فقه التدين فقها وتزيلا " ، الرياض التربوية للنشر والتوزيع ، 1995 م ، ص 88

<sup>29</sup> - دويغري، ليلى محمد، " التكامل بين مناهج التعليم الثانوي والجامعي بين النظرية والتطبيق " ، مجلة التربية المعاصرة، العدد 28 السنة 10، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية 1993م

ص 67

○ 30- الجلال، ماجد زكي "تدريس التربية الإسلامية الأسس النظرية والأساليب العملية" دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان الأردن، الطبعة 3، 1432هـ - 2011م ص 372

## المراجع والمصادر

1. أليس الصباح بقريب- التعليم العربي الاسلامي دراسة تاريخية وآراء اصلاحية، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور دار السلام ودار سحنون للنشر الطبعة 2/ 2010-
  2. تدريس التربية الإسلامية الأسس النظرية والأساليب العملية: ماجدة زكي الجلال دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان الأردن. ط 3 - 1432 هـ - 2011 م.
  3. "تدريس الحديث النبوي وعلومه: الأصالة والمعاصرة"، الزبيدي، أحمد طه. دار النفائس ودار الفجر، الطبعة 1، 1434 هـ- 2013 م.
  4. التربية الإسلامية وفن التدريس، - عبد الوهاب عبد السلام طويلة دار السلام ط 1- 1418 هـ- 1997 م
  5. تطوير التعليم الشرعي حاجة أم ضرورة، محمد الدرويش، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 2013 م،
  6. التعليم الدين بين التجديد والتجميد، طه جابر العلواني دار السلام الطبعة 1430 هـ- 2019 م
  7. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طبية سنة النشر: 1420 - 1999
  8. التكامل بين مناهج التعليم الثانوي والجامعي بين النظرية والتطبيق. دويغري، ليلى محمد مجلة التربية المعاصرة، العدد 28 السنة 10، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية 1993 م.
  9. "التكامل المعرفي أثره في التعليم الجامعي وضرورته الحضارية"، تحرير الدكتور رائد جميل عكاشة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1433 هـ/ 2012 م.
  10. تكوين الملكة الفقهية للدكتور محمد عثمان شبير، ط 1/ 1999 م، الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،
  11. علاقة المتعلم بالأستاذ في ظل المستجدات التربوية سعيد حليم النبوي وعلومه الأصالة والمعاصرة: طه أحمد الزبيدي، طبعة دار الفجر ط الأولى 1434 هـ/ 2013 م.
  12. العودة الى الهوية الإسلامية، الجندي، أنور دار الهداية، الطبعة 1420/ 1999 م
  13. فقه التدين فقها وتنزيلا، النجار عبد المجيد، الرياض التربوية للنشر والتوزيع، 1995.
  14. لسان العرب لابن منظور دار صادر - ابن منظور بيروت، ط الثالثة - 1414 هـ
  15. المجموع شرح المذهب (مع تكملة السبكي والمطيعي). محي الدين يحيى بن شرف النووي: دار الفكر (د.ت)
  16. المعجم الموسوعي لعلوم التربية، أحمد أوزي مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1427 هـ- 2006 م
  17. منهاج تدريس الفقه: دراسة تاريخية تربوية، صادقي، مصطفى. المعهد العالمي للفكر الاسلامي ط 1 1433 هـ، 2012 م
  18. المنهج المدرسي المعاصر، سعادة جودة أحمد، وإبراهيم، عبد الله محمد، ط 4، 2004.
  19. المنهج وطرق التدريس، رمضان مسعد بدوي دار الفكر ناشرون وموزعون الطبعة 1. م 2011/ 1432 هـ
  20. "من سماء المعرفة إلى أرض المدرسة"، الدار المصرية اللبنانية"، -السكري، عادل. ط 1، 1420 هـ/ 1999 م.
- مجلات علمية محكمة
21. مجلة التبصرة، الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين بالجهة الشرقية، وجدة، عدد مزدوج 6/5. 2011
  22. مجلة التربية المعاصرة، العدد 28 السنة 10، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية 1993 م.
  23. مجلة الواضحة، ال عدد 5، دار الحديث الحسنية، 2009 م.